لله الحمد على أسرار الحمد

أحمد كمال توفيق

شكر وتقدير

للقائمين على هذا البحث

التدقيق اللغوي: د. محمد سليمان

إشراف على البحث: أ. عبد الرحمن أحمد أحمد مصطفى

ونسأل المولي الكريم ان يصل اجر هذا العمل وثوابه الي روح

امام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي

فقد كانت خواطره حول القرآن الكريم الملهم الأول للكاتب بفكرة هذا البحث

الكاتب

احمد كمال توفيق

باحث وكاتب في مجموعة من المجالات المتعلقة بالتاريخ والادب والاديان

من مواليد مدينة المنصورة بمصر

حاصل على درجة الليسانس في آداب اللغة الفرنسية من جامعة المنصورة

حاصل على دبلومة علوم القرآن وآدابه ودبلومة السيرة النبوية.

له مجموعة من الاعمال المنشورة تتنوع ما بين المقالات والابحاث والقصة القصيرة،

ومن اهمها:

- في رحاب الراشدين - سلسلة مقالات
- ازمة هوية - مقالة من جزئين
- فرعون ذو الاوتاد - سلسلة مقالات
- الفروق اللغوية - سلسلة مقالات
- حفيد يأجوج ومأجوج - مقالة بمجلة عربي 22
- تاريخ التاريخ - مقالة بمجلة عائدون
- التجارب المحرمة - سلسلة مقالات

الحمد للّه

والصلاة والسلام علي خير خلق الله

اللهم لك الحمد حمداً لا ينبغي إلا لجلال وجهك وعظيم سلطانك

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

من سنن الخطبة ان تبدأ بحمد الله والثناء عليه، بل استن الفقهاء بدء كل حديث بحمد الله والصلاة والسلام علي رسول الله، فليس هناك لاستفتاح الحديث خيراً مما افتتح المولي سبحانه وتعالي كتابه به، فتزين الحمد لله صدر فاتحة الكتاب، ثم تكون قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من ركعات الصلاة وركن من أركانها، فما سر الحمد حتي يبلغ منزلة عند الله تصل به إلى أن يجعله الله في فواتح خمساً من سور القرآن من بينها فاتحة السبع المثاني، ويجعل الله في الجنة باباً يسمى باب الحمد، فهل الحمد لله هو خير اجتهاداتنا في ذكر الله؟ أم أن الحمد هو عبادة أمر الله بها وعلمنا إياها وبين لنا كيفيتها؟ وحمد نفسه قبل أن يحمده أحد من خلقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى الحمد

الحمد لغة واصطلاحا: الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل (أي ذكر المحاسن وإن كانت بلا إحسان)، وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الحامد للمُنْعِم عليه وغيره، يقال: حمدت الرجل أحمده حمداً ومحمداً، ومحمدةٍ، فهو محمود وحميد[1].

والحمد، لفظ يشترك مع عدة ألفاظ في المعنى، مثل
(الشكر - الثناء – المدح)
ألا إن هذه الألفاظ وإن تقاربت فلكل منها معناه .
فالشكر: يكون من شخص مُنّعَم عليه بنعمة تخصه فيشكر من فعلها أو أسداها له، فيكون على الصفات المتعدية فحسب؛ فلا يقال شكرته لفروسيته، إنما تقول شكرته على كرمه وإحسانه إلي.[2]

أما الثناء: فقد يكون على صنيع أو وصف ما قد لا يعود على صاحبه بمنفعة شخصية، أو تثني على شيء ما حسن قد نراه مثل (صورة - منظر طبيعي - وما غيرها)؛ من أشياء قد تسرنا، مادية كانت أو معنوية، غير اننا لا تثني على أمر لا وجود له، كما ان الثناء شرطه أن يكون باللسان أي (شرطه التصريح) .

وأما المدح: فهو الأعم فإنه يشمل هذا وذاك (الثناء والشكر)، بل إنه قد يمتد إلى الذات؛ فقد تمدح شخص ما أو صاحب جاه أو ما غير ذلك لذاته هو، أو لأنك تريد منه صنيعاً يعود عليك بالنفع، وقد يتجاوز المدح حتى يصل إلى حد الرياء ومديح لما هو بغير حقيقة.

وأما الحمد: فكما قال ابن القيم "يكون فيه ذكر لمحاسن المحمود، مع الحب والتعظيم، فلابد فيه من يقترن بالإرادة، فلا يحمد صنيع دون تبجيل وتعظيم لصاحبه، وهذا بخلاف المدح فإنه قد يكون إخبار مجرد".[3]
وبالتالي كان المدح أوسع تناولاً؛ لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضا، بإرادة صادقة أو دون إرادة .

وأما الحمد فهو أعم من الشكر: لأنه كما قال الإمام البغوي "والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة". فكل حامد شاكراً وليس كل شاكر حامداً وقد قيل "الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلاً، ولله المثل الأعلى فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه".[4]
1

---

1) [1] لوامع الأنوار البهية ص37، شرح العقيدة الواسطية للغنيمان ص21
2) تفسير ابن كثير ص67
3) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان ص21
4) تفسير البغوي ص52

والحمد نقيضه الذم، أما الشكر نقيضه الكفران.[1]

وإذا أتى الحمد مقروناً بالألف واللام: يكون مستغرقاً لجميع أنواع المحامد، فالحمد كله حق واجب لله تعالى، وهو وحده المستحق للحمد دون سواه، والحمد هو الثناء الحسن على الله تعالى بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة ما بين الفضل والعدل.[2]

ومن المحامد ما يُحمد عليها المخلوق، كشكر من صنع لك معروفًا، والحقيقة أن الله تعالى هو الذي أجرى الخير على يد العبد، وجعله سببًا مباشرًا لهذه النعمة.

حمد الله تعالى نوعان:

(أ) حمد مستحق واجب لذات الله سبحانه وتعالى؛ لأنه متصف بصفات الكمال، وهو المانع المعطي، وهو مصدر النعم، فهو أحق بالحمد من كل محمود.[3] فالحمد المطلق لا يكون إلا لمن له طلاقة القدرة.

(ب) وحمد على إحسانه تعالى إلى عباده، وتفضله عليهم بالنعم، وهو نوع من الشكر.
قال أبو جعفر: ولا تَمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم، لقول القائل: " الحمد لله شكرًا " - بالصحة. فقد تبيّن - إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحًا - أنّ الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد. لأنه لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال " الحمد لله شكرًا "، فيُصَدَّرَ من الحمد غيرُ معناه وغير لفظه.[4]
أي أنه مصرح بجواز قول تلك الصيغة (الحمد لله شكراً)، بحيث يكون الحمد هنا حاملاً لمعنى الشكر.

إذن فالحمد اختصاراً: مزيج انفعالي ما بين العقل والقلب يفيض على الجوارح فيبدي الإعجاب بجلائل النعم والتوجه بالعجز عن شكرها ويكون الحمد لمن له الاختيار في إعطائك، أو المن عليك بهذه النعم.[5]

2

---

1) [2] الكشاف للزمخشري ص112
2) تفسير الطبري ص61، مع التبسيط، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن ...) ص40
3) من إجماع الفقهاء
4) نقلاً عن القرآن للجميع
5) تفسير الشعراوي

ذكر الحمد في القرآن

ذكر لفظ الحمد في القرآن الكريم نحو ٦٨مرة، مفصلة على النحو التالي:

- تكررت كلمة الحمد معرفة ٢٨ مرة (الحمد لله ٢٣مرة، لله الحمد ١ مرة، له الحمد ٤مرات).
- وبدون تعريف ١٥مرة (٦ مرات بحمد ربك، ٤ مرات بحمد ربهم، ١ مرة بحمدك، ٤ مرات بحمده).
- كما ذكر لفظ حميد ١٧ مرة (حميد ٧ مرات، الحميد ١٠ مرات).
- كما ذكر لفظ الحمد ٨ مرات تحت لفظة (يحمدوا، الحامدون، محموداً، محمد، أحمد).
- ونجد من هذه الآيات التي ورد فيها الحمد ٣ مواضع في خواتيم السور (الزمر، الإسراء، الصافات).
- وفي بدايات السور في ٥ مواضع (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)[1].

هذه المواضع الخمس؛ لخصت واتضحت فيها الأسباب الرئيسية للحمد، وسوف نتناولها بالتفصيل لاحقاً.

صيغة الحمد

والحمد هي الصيغة؛ التي اختارها الله جل جلاله للثناء عليه، فلو لم يكن اختارها جل شأنه، لكان الناس اختلفوا في صيغ الثناء على الله سبحانه وتعالى، فكان من له الفصاحة في القول يحسن الثناء أما الضعيف عن هذا فلا يستطيع أن يجيد ثناءً عليه .

وبالتالي فقد رفع الله عنا ذلك وساوى بيننا في كيفية الثناء عليه، فتصبح هذه نعمة تستحق منا الثناء على ذاته، فنحمد الله على صيغة حمدنا له فيلزم هذا الحمد حمداً آخر؛ حتى تكون متسلسلة من الحمد فيصبح الله محموداً دائماً وأبداً. فالحمد لله على الحمد لله.

كما أن ذلك يجعلنا لا نحصي ثناء عليه جل شانه، فهو من أثنى على نفسه، فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال في حديثه الشريف: "وأعوذُ بِك منكَ لا أُحصي ثناءً علَيكَ أنتَ كما أثنَيتَ علَى نفسِك"[2].

ومن أعظم صيغ الحمد أن نسبح بحمد الله فالتسبيح فيه تعظيم وتنزيه للذات الإلهية، فبها تحمد الله معظماً ومنزهاً لصفات كماله ودلاله. "فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[3].

1) [3] القرآن الكريم.
2) صحيح ابن ماجه رقم 3113.
3) متفق عليه الصحيحين البخاري رقم 6682، مسلم رقم 2694.

حيثيات الحمد

وللحمد عدة حيثيات في هذه الآيات الخمس، التي تأتي في فواتح السور الخمس التي سبق ذكرها، تلك الحيثيات هي التي وضحت لنا الاحكام الرئيسة للحمد.
فحمد الله يكون في جميع الأحوال، في السراء والضراء وغير ذلك كله، ولكن هذه السور وضعت الاسس المفسرة له، وخصت فواتح السور الخمس بتوزيع حيثياته على بقية الآيات المذكور بها .

ومن هذه السور:

فاتحة الكتاب:

والفاتحة هي سميت في القرآن بالسبع المثاني، التي فيها قسمة الصلاة بين العبد وربه، وإن أراد الله يكن لنا معها وقفة لاحقة .
حيث تبدأ فاتحة الكتاب بأول صيغة من صيغ الحمد وهي **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**
[سورة الفاتحة: 2]
وذكرت هذه الصيغة كاملة في القرآن الكريم ٦مرات.
والحمد لله هذه، فيها طاقة قطعية (بوجود حمد) تستقبل به النفس البشرية النعم التي لم تسخرها لنفسها، فلا خلاف في إيجاد الحمد، ولكن في توجيهه؛ فأمر الله بتوجيهه إليه، ثم أعطانا الحيثيات؛ وهي أنه الله، وأنه رب العالمين، وأنه الرحمن، وأنه الرحيم، وأنه مالك يوم الدين، إلى آخره.

وقد كان باتفاق من القراءات العشر بأن تكون (الحمدُ لله) تقرأ بضم الدال حيث إنها تدل على شمولية الحمد وليس اختصاصك أنت وحدك بحمد الله .
والحمد لله فيها شكر خالص لله وحده، دون سائر ما يعبد من دونه (عند غيرالمسلمين)، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ولا يحيط بعددها غيره أحد .[1]

وفي هذه الآية نجد أن الحمد منقسم إلى قسمين حمد على الألوهية، وحمد آخر على الربوبية فلم نقل {الحمد لرب العالمين} فحسب، بل الحمد لله أولاَ.
فكلمة الله تعني المعبود بحق...، فالعبادة تكليف، والتكليف يأتي من الله لعباده، ففي هذا التكليف نعمة من الله، هذه النعمة تكمن في أنها المسيرة لحركة الحياة، فهي تجعل حركة الحياة متساندة وليست متعاندة، وبالتالي فإن النعمة الأولى أن المعبود جل شأنه أبلغنا بمنهج عبادته.[2]

ثم ننتقل بعد ذلك إلى النعمة الثانية التي تستحق الحمد وهي عطاء الربوبية، وهذه النعمة تنقسم إلى عامة، وخاصة[3].
[4]

---

1) [4] تفسير ابن كثير ص67
2) خواطري حول القرآن للشعراوي ص63
3) تفسير السعدي ص40

والخاصة: تكن شاملة لمن هم اتبعوا المنهج الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وهم المؤمنين، المتقين لله حق تقاته، الذين يدركوا ويفقهوا الشكر والثناء على كل ما أعطاه الله، وهؤلاء من حق فيهم قول الله تعالى

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[1]

أما العامة: فهي تشمل جميع المخلوقات الطائع منها والعاصي، والمؤمن والكافر، فمهما صدر منهم أو بلغ أحدهم من الجحود أشده، فلن تنقطع عنه هذه النعم العامة لأنها تزال مستمرة بعطاءات الربوبية.

فمثلاً: لا الشمس تستطيع أن تغيب ولا تشرق، ولا تستطع الأرض أن تمتنع عن الإنبات[2].

فالله رب العالمين وهذه أيضاً نعمة توجب الحمد، فهو المسير لحركة الكون بأسره، وهو المسخر لكل العالمين (العوالم) من (شمس، نجوم، دواب، نبات، غير ذلك)، لخدمة الإنسان وتلبية جميع احتياجاته.

ننتقل بعد ذلك إلى:

سورة الأنعام:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}

[سورة الأنعام: 1]

قد تم بفضل الله؛ تفصيل لفظ الحمد فيما سبق، ولكن في هذه الآية أتت الحيثية الأساسية الثانية للحمد، وهي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور .

ففي خلق السماوات والأرض نعمة استمرارية الحياة للجنس البشري، فبعد إيجاده من العدم؛ يكن فيهن تقدير الأقوات التي تمده بأسباب الحياة، وتجعله قادراً على الاستخلاف في الأرض وعمارتها، من (غيث يهطل من السماء، وزرع، وماء، ونبات، وهواء وغير ذلك من نعم لا تعد ولا تحصى) .

{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}[2]

كما أن هذه السماوات وتلك الأرضين، لم يزعم أحداً من قبل أنه هو من خلقها، فهي موجودة قبل وجود الإنسان؛ وإن زعم أحد الضالين مهما وصل به الطغيان أنه من خلقهم فلن يشهد له أحد بغير الجنون .

(جاعل الظلمات والنور): وهنا نجد فارق ما بين خالق وجاعل، فالخلق يكون من عدم، أما الجعل فيكن لشيء مخلوق من قبل، وكأن الله يوضح لنا بأنه في خلق السماوات والأرض تعاقب للظلمات والنور الماديين؛ وأنهم وجدوا بخلق السماوات، والأرض، والله أعلى، وأعلم .

كما أن هذا التعاقب فيه ضرورة لاستمرار سريان حركة الحياة، فتكون في الظلمات القدر الكافي من السكينة؛ لمواصلة رحلة السعي في النور.

وأتت الظلمات بصيغة الجمع؛ وأما النور مفردة، وهذا وإن دل فإنه يدل على تعدد أنواع الظلمات مادية كانت او معنوية (فظلمة الكهف، غير ظلمة البحار، غير ظلام البر)، بينما النور له مصدر وحيد[3].

1) [5] من الآية 7 سورة إبراهيم.
2) من الآية 18 سورة النحل.
3) خواطري حول القرآن للشعراوي ص3493.

وإن كانت بالمعنى الحسي (المعنوي)، فتأتي الظلمات في صيغة الجمع للدلالة على تعدد الطرق التي تؤدي إلى الضلال والظلمة، بينما طريق النور واحد وهو الإيمان، وقد يتضح هذا في قوله تعالى:

{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}[1].

(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون): وهنا بعد إيضاح الله لسبب وحيثية الحمد في هذه الآية ينبهنا الله، أنه بالرغم من ذلك فإن الكافرون بربهم لازالوا على ضلالهم؛ يحيدون عن طريقه، ويدعون آلهة من دونه برغم ما تبين لهم.

الكهف:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ}

[سورة الكهف: 1]

وفي هذه الآية الكريمة، نجد أن حيثية الحمد؛ تتلخص في أن الله أنزل على عبده (محمد صلى الله عليه وسلم) الكتاب، هذا الكتاب الذي فيه المنهج الحق القويم، الذي يعمل على تسيير حركة الحياة، فنرى أن الله لم يتول تربية عباده تربية مادية فقط وحسب، وإنما تربية نفسية ومعنوية؛ يكن له بها رسالة وهدف في هذه الحياة، وتجعله يعمل لحياة آخرة غير هذه الدنيا.

وهذا المنهاج، منهاج مستقيم لا اعوجاج فيه ولا زيغ؛ عن طريق الهدى، والحق، فالإنسان إن اتبع هواه؛ وفعل ما تدفعه إليه نفسه لكان كل ما يفعل شر، وبالتالي تفسد حركة هذا الكون، فلعلك لو قرأت وتدبرت في نصوص القرآن، تجد أن كل خبر عن الإنسان إن لم يكلف بمنهج افعل ولا تفعل؛ يكن من جنس الشر، إلا بالإيمان، والعمل بما يأمره به الله؛ فقد قال الله جل جلاله في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم

{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)}[2].

فهنا أخبرنا الله أن الإنسان في خسر إلا الذين آمنوا وساروا على النهج المستقيم.

وذكر لنا في موضع آخر، وصف لحال الإنسان بقوله

{ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30)}[3]

1) [6] سورة الأنعام من الآية 153.
2) سورة العصر.
3) من سورة المعارج.

فالإنسان حاله هنا؛ أنه هلوع أي (شديد الفزع لا يصبر على المصائب)، إذا مسه من أمره شر يجزع منه وقد، يعترض حاشا لله على هذا القضاء والابتلاء، وإذا مسه من أمره الخير؛ بخل به على غيره، وقد يمنع حق الله تعالى فيه .

إلا من اتبع المنهجية الإلهية؛ التي وضعها وأنزلها الله على عباده، وكانت من أوصافهم

- أنهم مصلين محافظين على صلاتهم
- وكانوا يخرجوا من اموالهم التي هي من فضل الله حقها الذي حدده .
- وكانوا مؤمنين موحدين ومصدقين بيوم الدين؛ عاملين لآخرتهم، ولهذا اليوم المشهود .
- وكانوا لفروجهم حافظون، إلا لما قد أحله الله لهم؛ فهم غير ملومين ولا مأخذين على ذلك.

فالحمد لله على ما أنزل، وما كلف به عباده .

كما ان منهج التكليف وجد قبل وجود الإنسان نفسه، فيجب علينا إدراك أن الله أنزل المنهج منذ بداية الخليقة؛ حتى يكن خير حافظاً لحركة الحياة، والدليل على ذلك؛ قول الله تعالى في كتابه العزيز

{الرَّحْمَـٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)}[1]

فأتى الترتيب كما هو مذكور، بتعليم القرآن منهج الله، قبل خلق الإنسان.

سورة سبأ:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}

[سورة سبأ: 1]

أما حيثية الحمد في هذه الآية؛ تتلخص في أمرين:

الأول هو الحمد والثناء على الله مدبر هذا الكون الذي له ما في السماوات وما في الأرض؛ فحمده على ملكه يدل على عظمة هذا المالك المعطي مما له بغير عدد ولا حساب، المُنْعِم علينا من فضله برغم كماله وعظمة قدرته.

ولعل البعض قد يتعجب متسائلاً: ما هو وجه الحمد في أنه يملك السماوات والأرض؟

فنقول: فرق بين أن يخدمك في الكون ما لا تملك، وبين أن يخدمك ما تملك، فالعظمة هنا أنك تنتفع بما لا تملك، فهي (السماوات والأرض) ملك لله، ومع ذلك فهي في خدمتك أنت، وليست العظمة من أن يخدمك ما تملكه.

كما أن ذكر الله لملكيته هنا؛ دلالة اطمئنان، فالله سبحانه وتعالى يطمئن عباده، أنها خاضعة له؛ ولو كانت لغيره لمنعنا منها، لكنه هنا يريح قلبك بأن هذا ملكه، ولا ينازعه أحد فيه؛ فهو المتفرد بملكه، ولن يتخلى عنك أبداً.[2]

1) [7] سورة الرحمن من الآية 1:4.
2) خواطري حول القرآن ص12222

ونلاحظ قول الله تعالى (له ما في السماوات وما في الأرض) فكرر الاسم الموصول (ما) ولم يقل (له ما في السماوات والأرض) مثل قوله تعالى: **{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**[1]
فتختلف الصيغة الأولى عن الأخرى، لأنها تدل على الاختلاف فيما بينهم فله ما يتشابه ويختلف أما الأخرى تكون في التشابه فقط .

فالفرق ما بين التعبيرين؛ أن هناك خلقاً مشتركاً ما بين السماوات والأرض، وهناك خلق خاص بكل منهما على حدة .[2]
فإن أراد الكل لن يكرر الاسم الموصول (ما)، وإن أراد التمييز والتبيين بملكهما بكل المختلف بينهم يكرر الموصول .

(وله الحمد في الآخرة): والحمد في الآخرة أكبر وأعظم من الحمد في الدنيا، فالحمد في الدنيا لأنك تعيش بالأسباب التي تحفظ وجودك واستمرار معيشتك، أما فالآخرة فتعيش بأمر مسبب الأسباب؛ دون شقاء وعناء وعمل يساعد على أن يبقيك ولذلك قال الله في الآخرة عن عباده **{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} .**[3]

(وهو الحكيم الخبير): فهو حكيم في أمره خبير بخلقه.[4]
والحكمة تقتضي، وضع الشيء المناسب؛ في مكانه المناسب .
فهو الحكيم في تدبير أمور خلقه، الخبير بما هو أصلح وأنسب لهم،[5] وخبير بما في نفوسهم وما يعملون، محيط بجميع أمورهم.

سورة فاطر:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}
[سورة فاطر: 1]

حيثية الحمد هنا تتلخص حول محورين أساسيين:

(الحمد لله فاطر السماوات والأرض): فاطر السماوات والأرض أي خلقها على فطرة لا مثيل لها في السابق ولا في الحاضر، ولن ينبغي أن يكون لها مثيل، فهو فاطرها الذي لا يعلم أسرار خلقها إلا هو جل شأنه.
[8]ولعلك تتساءل ما هي قصة ذكر السماوات والأرض في أغلب آيات الحمد التي تعرضنا لذكرها وتفصيلها؟

فلعل ذلك له عدة أسباب لا نعرف منها إلا ما وفقنا الله له، فمنها:

أولاً: تعدد ذكرها قد يجعلنا ندرك أن خلق السماوات والأرض أكبر وأعظم من خلق الإنسان، على الرغم من أنه هو المخدوم، المُسْخر له ما في الكون جميعا.

---

1) [8] سورة الحديد من الآية 1
2) خواطري حول القرآن للشعراوي ص12223.
3) سورة يونس من الآية 10.
4) تفسير السيوطي ص674 المجلد7.
5) تفسير الطبري ص206 المجلد5.

ثانياً: فهي كما سبق التوضيح بها كل ما فيه إبقاء للجنس البشري من أقوات، ونعم لا حصر لها .
ثالثاً: الإنسان يزول وهي لا تزول، فتأتي أمم وتزول أمم ولازالت مسخرة لخدمة كل ما هو آت .
رابعاً: كما ذكرنا آنفاً (من قبل)، فيها دلالة اطمئنان بأن المسخر هو الله، فكأنه يؤكد بتعدد ذكرها ألا يخشى الإنسان من زوالها، أو منع نعمها عنه.
وكذلك تتعدد الأسباب فالله أعلى وأعلم بما لا ندركه، أو ما لم نوفق لمعرفته بعد .

(جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة): وهنا يوضح لنا الله وظيفة الملائكة على قدر استيعابنا، فيقول إنه جاعلها رسلاً، فهم رسل لبني البشر بأمر من الله، يحملون منهجه بوحي منه إلى من اصطفاه من الرسل، أو رسلاً من الله لتأدية مهامهم المتعلقة بالإنسان .

ولعل البعض يعلم بأن الملائكة أنواع وليسوا جميعهم من نوع واحد:

- فمنهم العالون الهائمين في ملكوت الله ليس لهم عمل إلى تسبيحه وعبادته، لذلك حينما رفض إبليس السجود لآدم قال له رب العالمين **{أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ}** .[1]
- ومنهم من له علاقة بالإنسان وهؤلاء هم الذين سجدوا لآدم عليه السلام **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}**.[2]
- ومنهم المعقبات الذين يحفظون الإنسان ويحرسونه بأمر من الله، لكنها لا تمنع قدراً يشاؤه **{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}**.[3]

ومنهم المدبرات أمرا **{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}**[4]، الذين يديرون أمور الخلق بأمر الله، وهؤلاء منهم الكتبة الذين يكتبون أعمال العباد **{كِرَامًا كَاتِبِينَ}** .[5]

(رسلاً اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع): وهنا قد يتساءل البعض إن كانوا في السماء فكيف يتنزلون للأرض؟
فالله سبحانه وتعالى يفسر لنا كيفية الصعود والهبوط بوصفه أن لهم أجنحة، هذه الأجنحة عليك ألا تتصور أنها هيئة أو صورة ثابتة جناحين وفقط، وأن كل ما يطير لا يملك إلا جناحان وإنما منهم من له أكثر من ذلك ثلاث وأربع وليس هذا فحسب وإنما يزيد الله في الخلق كما يشاء، فمنهم من له مئات الأجنحة، بل آلاف لذلك قال الله (يزيد في الخلق ما يشاء)، وهذا ليس قاصراً على الملائكة.[6]
فالله قد يزيد في الخلق كله ما شاء، فمثلاً قد تجد من يخلق بستة أصابع، وقد تجد من يعطيه الله بسطة في الجسم، ومن يعطيه بسطة في العقل، وغير ذلك من الصور، فهو له طلاقة القدرة يصنع ما يشاء (إن الله على كل شيء قدير) .

1) [9] سورة ص من الآية 75.
2) سورة البقرة من الآية34.
3) سورة الرعد من الآية 11.
4) سورة النازعات الآية 5.
5) سورة الانفطار الآية 11.
6) خواطري حول القرآن 12407.

وبعد ما أفاض علينا الله من فضله، فيما أعاننا على توضيحه وإدراكه، نستطيع أن نقول:
أن الحمد في هذه الآيات كان شاملاً، ملخصاً لكل أسباب الحمد، في 5 أمور وهي:

- الإيجاد من عدم
- المد بعناصر الإيجاد والاستمرارية من (أرزاق، وأقوات)
- الإبقاء بالمنهجية
- الإبقاء بالعمل
- الإيجاد بالبعث بعد الموت

فكل ما بين ذلك نحمد الله عليه حمد الرضى بحكمه، لليقين بحكمته.

فضل الحمد

الحمد من تمام عبودية العبد لربه، فهو سبب من أسباب رضى الله عن العبد، ومن يتدبر أسماء الله الحسنى، فإنه يثابر على الحمد، فصفات الكمال مثل (القوي، العزيز، الحكيم) تلزم الحمد لأنها تدل على طلاقة الحكم والقدرة لله جل شأنه المنعم علينا بفضله، كما أن صفات الدلال مثل (الرحمن، الرحيم، الباسط) تلزم الحمد أيضاً لأنها تدل على عطف الله ورحمته بعباده.

ومن أفضال الحمد:

- أن الحمد غرس من غراس الجنة، مثل النبتة الطيبة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ: يا محمَّدُ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ)** .[1]

- كما أن الحمد من الكلمات التي اصطفاها الله جل جلاله من الكلام، كما أن لها ثواب خاص يختلف عن باقي ما اصطفاه الله من الكلمات فيسجل بها ثلاثون حسنة ويحط بها ثلاثين خطيئة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إنَّ اللهَ تعالى اصْطفَى من الكلامِ أرْبعًا: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ. فمَنْ قال: سُبحانَ اللهِ كُتِبَتْ لهُ عِشرُونَ حسَنةً، وحُطَّتْ عنهُ عِشرُونَ سيِّئَةً. ومَنْ قال: اللهُ أكْبرُ، مِثلَ ذلِكَ. ومَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ مِثلَ ذلِكَ، ومَنْ قال: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، من قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لهُ ثلاثُونَ حسَنةً وحُطَّ عنْهُ ثلاثُونَ خَطيئَةً).**[2]

1) [10] صحيح الترمذي رقم3462.
2) صحيح الجامع رقم1718.

- والحمد يتهافت عليه الملائكة لتدوينه فقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فيما ورد في الحديث الشريف: **(كنَّا يَومًا نصلِّي وراءَ رسولِ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- فلمَّا رفعَ رسولُ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- رأسَهُ منَ الرُّكوعِ قالَ سمِعَ اللَّهُ لمَن حمِدَهُ. قالَ رجلٌ وراءَ رسولِ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- اللَّهمَّ ربَّنا ولَكَ الحمدُ حمدًا كثيرًا طَيِّبًا مُباركًا فيهِ فلمَّا انصرفَ رسولُ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- قالَ منِ المُتكلِّمُ بِها آنفًا. فقالَ الرَّجلُ أنا يا رسولَ اللَّهِ. فقالَ رسولُ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ- لقَد رأيتُ بِضعةً وثلاثينَ ملَكًا يبتدِرونَها أيُّهم يكتبُها أوَّلُ).**[1]

- كما أنها إن قيلت وقت صبر العبد واحتسابه، فيما قد يبتليه به ربه يبنى بها بيتاً في الجنة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إذا مات ولدٌ لعبدٍ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لملائكتِه قبضتم ولدَ عبدي فيقولون نعم فيقولُ قبضتم ثمرةَ فؤادِه فيقولون نعم فيقولُ ماذا قال عبدي فيقولون حمَدك واسترجع فيقولُ ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنَّةِ وسمُّوه بيتَ الحمدِ) .**[2]

- كما ان الحمد يملأ ميزان العبد عند ربه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملآنِ ما بين السماءِ والأرضِ) .**[3]

- والحمد غافر وماحي للذنوب، تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من قال: سبحان اللهِ وبحمدِه مائةَ مرةٍ غُفِرَتْ له ذنوبُه وإنْ كانتْ مثلَ زبَدِ البحرِ).**[4]

وغير ذلك العديد والعديد من أفضال الحمد، فقد لخصها بعض الفقهاء في اربعة عشر مسألة، وإن ظللنا نتحدث عن أفضال الحمد فلن نعطيه حقه، فهو من أفضل الذكر، فالحمد لله على أفضال الحمد .
ما كان من توفيق في هذا البحث، فهو من الله وحده، نسأل الله أن نكن من عباده الذين يستعملهم لخدمة دين الحق، وأن يكن هذا البحث من العمل الذي لا ينقطع حتى بعد وفاة العبد، فيكن تحت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (علم ينتفع به)

1) [11] **صحيح أبو داوود رقم770، صحيح البخاري 799.**
2) **الترغيب والترهيب الصفحة3 رقم123، وأخرجه الترمذي رقم1021.**
3) **صحيح الجامع الرقم 3957، واخرجه مسلم223**
4) **أخرجه الترمذي رقم 3466، والبخاري رقم6405، ومسلم رقم 2691.**

المراجع

1) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية / محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي / الناشر: مؤسسة الخافقين دمشق / تاريخ الإنشاء: 19 سبتمبر 2007

2) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / الناشر: دار ابن حزم / تاريخ الإنشاء: 11 ديسمبر 2009

3) شرح العقيدة الواسطية / عبد الله بن محمد الغنيمان / تاريخ الإنشاء: 14 نوفمبر 2013

4) تفسير البغوي / الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد / الناشر: دار طيبة / تاريخ الإنشاء: 31 يناير 2007

5) تفسير الكشاف / محمود بن عمر الزمخشري / تاريخ الإنشاء: 03 مارس 2011

6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / الطبري معروف الحرستاني / الناشر: مؤسسة الرسالة / تاريخ الإنشاء: 24 يوليو 2010

7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي / تاريخ الإنشاء: 05 سبتمبر 2007

8) https://quran4all.net/ar/tafsir/2/1/2 / القرآن للجميع

9) خواطري حول القرآن / محمد متولي الشعراوي / الناشر: أخبار اليوم / تاريخ الإنشاء: 11 يناير 2012

10) سنن ابن ماجه سنن ابن ماجة مع أحكام الألباني ت مشهور / محمد بن يزيد القزويني / تاريخ الإنشاء: 23 أبريل 2007

11) صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري / الناشر: دار ابن كثير - لبنان بيروت / تاريخ الإصدار: 01 يناير 2018

12) صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان / تاريخ الإنشاء: 04 أكتوبر 2010

13) الدر المنثور في التفسير المأثور / عبد الرحمن السيوطي جلال الدين / تاريخ الإنشاء: 29 مايو 2018

14) سنن الترمذي (الجامع الكبير) / أبو جعفر الترمذي / الناشر: دار التأصيل / تاريخ الإنشاء: 18 فبراير 2014

15) صحيح الجامع / محمد ناصر الدين الالبانى / الناشر: المكتب الإسلامى / تاريخ الإنشاء: 03 يونيو 2006

16) صحيح سنن أبي داود / الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى (ت ١٤٢٠ هـ) / الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت / الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

17) الترغيب والترهيب / إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي / الناشر: دار الحديث / تاريخ